المجلس الأول

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فهذه منظومة عظيمة وجامعة في باب الاعتقاد لناظمها الشيخ العلامة/ حافظ بن أحمد حكمي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- سماها: **[الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة]**، وهو اسمٌ مطابقٌ لمسماه، قد جمع ناظمها -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في أبياتها العذبة وكلماتها السلسة وعباراتها الجميلة؛ أُمهاتِ الاعتقاد، والبراءة من العقائد والمذاهب المُخالفة للمعتقد الحق المستمد من كتاب الله جَلَّ وَعَلَا وسنة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وسيكون التعليق على هذه المنظومة تعليقًا مختصرًا دون إطالة؛ لأن أبيات هذه المنظومة تُقارب الثلاث مائة بَيْت، ونود ختم هذه المنظومة في هذه الأيام، أو في المدة المقررة خلال هذا الأسبوع بإذن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وأُحب أن أنبه أن الإخوة القائمين على هذه الدورة أعدُّوا جوائز لمن يحفظ هذه المنظومة، وستُعقد مجالس للتسميع لمن حفظ، ولعل عددًا من الإخوة أو جميع الإخوة يتيسر لهم ذلك.

أسأل الله أن ييسر لي ولكم الخير والتوفيق، وأن يُعيننا على طاعته، وأن يمن علينا بالعلم النافع والعمل الصالح والرزق الطيب، وأن يهدينا جميعًا إليه صراطًا مستقيمًا.

وندخل الآن في قراءة النظم.

المتن:

بسم الله الرحمن الرحيم...

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحَمْدُ للهِ لا يُحْصَى لَهُ عَدَدُ ** ولا يُحِيْطُ بِهِ الأَقْلامُ وَالمُدَدُ
حَمْدًا لِرَبِّي كَثِيرًا دَائِمًا أَبَدًا ** في السِّرِّ والْجَهْرِ في الدَّارَيْنِ مُسْتَرَدُ
مِلْءَ السَّمواتِ وَالأَرْضِيْنَ أَجْمَعِهَا ** وَمِلْءَ مَا شَاءَ بَعْدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ
ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ رَسُولِ ** اللهِ أَحْمَدَ مَعْ صَحْبٍ بِهِ سَعِدوا
وأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيْ وَالآلِ قَاطِبَةً ** وَالتَّابعينَ الأُلَى للدِّيْنِ هُمْ عَضُدُ
وَالرُّسْلِ أجْمَعِهِمْ وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ ** مِنْ دُوْنِ أَنْ يَعْدِلوا عَمَّا إليهِ هُدُوا
أَزْكَى صَلاةٍ مَعَ التَّسْلِيْمِ دَائِمَةً ** مَا إِنْ لَهَا أَبَدًا حَدٌّ وَلاَ أَمَدُ
وَبَعْدُ ذِي فِي أُصُوْلِ الدِّيْنِ (جَوهَرةٌ ** فَرِيْدَةٌ) بِسَنَا التَّوحِيْدِ تَتَّقِدُ
بِشَرْحِ كُلِّ عُرَى الإِسْلامِ كَافِلَةٌ ** وَنَقْضِ كُلِّ الذي أَعْدَاؤهُ عَقَدُوا
وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنْ لَوَازِمِهَا ** وَأَحْمَدُ اللهَ مِنْهُ الْعَوْنُ والرَّشَدُ
وَاللهَ أَسْأَلُ مِنْهُ رَحْمَةً وهُدىً ** فَضْلًا وَمَا لِيَّ إِلاَّ اللهُ مُسْتَنَدُ

الشرح:

هذه كما سمَّاها -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- خطبة العقيدة؛ وهو الاستهلال الذي بدأ به بين يدي هذه العقيدة المباركة، مُثنيًا على الله حامدًا مُصليًا ومُسَلِّمًا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، داعيًا ربَّه جَلَّ وَعَلَا بالعون والرَّشد والتوفيق والرحمة، مستمدًا منه وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذلك.

قال: (**الحَمْدُ للهِ لا يُحْصَى لَهُ عَدَدُ ... ولا يُحِيْطُ بِهِ الأَقْلَامُ والمُدَدُ**): الأقلام معروفة، والـمُدد: جمع مِداد.

و(**الحَمْدُ**)؛ حمدُ اللهِ لا يُحصى له عدد؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحمد على نعمه، ونعمُه لا تُعدُّ ولا تُحصى.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [سورة إبراهيم، من الآية:٣٤].

ويُحمد جَلَّ وَعَلَا على أسمائه الحسنى، وصفاته العظيمة، وأفعاله الجليلة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو جَلَّ وَعَلَا لم يزل ولا يزال فعالًا لما يريد، يُعطي ويُنعم ويُكرم ويتفضل ويمن جَلَّ وَعَلَا.

(**ولا يُحِيطُ بِهِ الأَقْلامُ والمُدَدُ**): يقول تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [سورة الكهف، من الآية:١٠٩].

(**حَمْدًا لِرَبِّي كَثيرًا دَائمًا أبَدًا**): أي: أحمده جَلَّ وَعَلَا حمدًا كثيرًا دائمًا أبدًا.

(فِي السِّرِّ والْجَهْرِ فِي الدَّارَيْنِ مُسْتَرَدُ): نحمده جَلَّوَعَلَا هذا الحمد في السر والعلن.

(فِي الدَّارَيْنِ): يعني في الدنيا والآخرة، وأهل الجنة يدخلون الجنة حامدين لله. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٤٣]؛ فهم يحمدون الله هذا الحمد.

(مُسْتَرَدُ): أي: مستمر، ودائم غير منقطع.

(مِلْءَ السَّموات وَالأَرْضِيْنَ أَجْمَعِهَا ... وَمِلْءَ مَا شَاءَ بَعْدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ): انتزع الناظمُ هذا مما ورد عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمد الله به بعد الرفع من الركوع: «رَبَّنا وَلَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض، وَمِلْءَ مَا بينهما وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْد».

(ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ رَسُولِ ... اللهِ أَحْمَدَ مَعْ صَحْبٍ بِهِ سَعِدُوا): ثنَّى بالصلاة والتسليم على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (خَيْرِ الأَنَامِ): أي: أفضلهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(رَسُولِ اللهِ): أي: من بعثه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رسولًا للعالمين.

(أَحْمَدَ): وهذا اسمٌ من أسماءه -صلوات الله وسلامه عليه-.

(مَعْ صَحْبٍ بِهِ سَعِدوا): سعدوا بصحبته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل إن السعادة لا تكون إلا بذلك، بصحبته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالاتباع في حياته، وبصحبة سنته وهديه -صلوات الله وسلامه عليه- بعد مماته؛ فهذا هو باب السعادة الذي لا باب لها غيره، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [سورة طه، من الآية:١٢٣]؛ أي: يسعد.

(وأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيْ وَالآلِ قاطِبَةً): لعل مراده أزواج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لعطفه لهم على الآل قاطبة، (وَالآلِ)؛ هم قرابة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ المؤمنون به.

(وَالتَّابعينَ الأُلَى للدِّيْنِ هُمْ عَضُدُ): أي: الصحابة، المراد التابعين له بإحسان؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [سورة التوبة، من الآية:١٠٠].

(وَالتَّابعينَ الأُلَى للدِّيْنِ هُمْ عَضُدُ): الذين أصبح شأنهم لدين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو النصرة والمعاضدة، والعمل على نشر دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والذبِّ عنه؛ فنهجوا نهج الصحابة، أخذوا دين الله جَلَّوَعَلَا وتلقوْه من أصحاب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فحفظوه، وحافظوا عليه، وعملوا به، وبلغوه للأمة كما سمعوا.

(وَالرُّسْلِ أجْمَعِهِمْ): عاد بالصلاة والسلام على جميع المرسلين. ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات، من الآية:١٨١].

على الرسل أجمعين وعلى أتباع جميع المرسلين، (وَالرُّسْلِ أجْمَعِهِمْ وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ)؛ فبعد أن صلى على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه وآله؛ صلى على جميع النبيين وأتباعهم؛ قال: (وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ).

(مِنْ دُوْنِ أَنْ يَعْدِلوا عَمَّا إليهِ هُدُوا): أي: التابعون الذين لزموا الاتباع ولم يعدلوا عنه إلى البدع والضلالات، وما لم يُنزل الله به تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سلطانًا، ولم (يَعْدِلوا عَمَّا إليهِ هُدُوا): أي: لم يغيروا ولم يبدلوا؛ قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٢٣].

(أَزْكَى صَلاةٍ مَعَ التّسْليْم دَائِمَةً): جمع هنا بين الصلاة والتسليم.

(أَزْكَى صَلاةٍ مَعَ التّسْليْمِ دَائِمَةً ... مَا إِنْ لَها أَبَدًا حَدٌّ وَلاَ أَمَدُ): أي: صلاةً وسلامًا دائمين مستمرين لا حد لهما ولا أمد.

ثم شرع في بيان المقصود قال: (وَبَعْدُ ذي في أُصُوْلِ الدِّيْنِ جَوهَرَةٌ): "ذي" الإشارة إلى هذه المنظومة.

(فِي أُصُوْلِ الدِّيْنِ): في عقائد الدين وأصوله الكبار.

(جَوهَرَةٌ فَرِيْدَةٌ): وهذا اسم المنظومة.

(بِسَنَا التَّوحِيْدِ تَتَّقِدُ): أي: بضياء التوحيد ونوره.

(تَتَّقِدُ): أي: تضيء؛ فهي جوهرة فريدة مضيئة بالتوحيد والاعتقاد الحق المستمد من الكتاب والسنة.

(بِشَرْحِ كُلِّ عُرَى الإِسْلامِ كَافِلةٌ): عُرى جمع عُروة، وهو الذي يُتمسك به؛ ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٦].

(بِشَرْحِ)؛ أي: بيان و إيضاح. (كُلِّ عُرَى الإِسْلامِ) أي: جميع أصول الدين العظام التي يجب الاستمساك بها، والمحافظة عليها ليستقيم للإنسان دينه، ولتُقبل منه طاعته وعبادته.

(بِشَرْحِ كُلِّ عُرَى الإِسْلامِ كَافِلةٌ ... وَنَقْضِ كُلِّ الذي أَعْداؤهُ عَقَدُوا): أي: أنه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- جمع في هذا النظم بين التأصيل والرد، ونحن نعلم أن ما ألَّفه أئمة السلف في الاعتقاد منه ما هو مؤلَّفٌ في تأصيل المعتقد وتقريره، ومنه ما هو مؤلَّفٌ في نقض ما يخالفه وإبطاله، ومنها ما يجمع بين الأمرين.

وهذا النظم جمع -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- فيه بين الأمرين؛ بين التأصيل والرد؛ تأصيل المعتقد الحق -كما أشار إلى ذلك في الشطر الأول من البيت: (**بِشَرْحِ كُلِّ عُرَى الإِسْلامِ كَافِلَةٌ**)-، والرد -كما أشار إلى ذلك في الشطر الثاني في قوله: (**وَنَقْضِ كُلِّ الذي أَعْداؤهُ عَقَدُوا**)-.

(**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنْ لَوازِمِهَا**): أي: لوازم هذه المنظومة؛ لأن ناظمها بشر، وعُرضة للخطأ، ولزلة القلم، ولهفوةٍ ونحو ذلك؛ فيقول: (**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنْ لَوازِمِهَا**).

(**وَأَحْمَدُ اللهَ مِنْهُ الْعَوْنُ والرَّشَدُ**): أي: يُستمد العون والرشد، (**الْعَوْنُ**)؛ على تحقيق كل مطلب، (**والرَّشَدُ**)؛ بالهداية إلى سبيل الرشاد.

(**واللهَ أَسْأَلُ مِنْهُ رَحْمَةً وهُدىً**): أي: أسأله أن يرحمني، وأن يمن عليَّ بالهداية إلى صراطه المستقيم.

(**فَضْلًا**): أي: تفضلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإنعامه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [سورة النور، من الآية:٢١].

(**وَمَا لِيَّ إِلاَّ اللهُ مُسْتَنَدُ**): ليس لي إلا الله. أستند إليه أي: أرجع إليه وأفر إليه وأطلب العون منه، فلا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مقدمة في براءة المتبعين من جراءة المبدعين وافتراءات المبتدعين: قال:

إِنّـي بَـرَاءٌ مِـنَ الأَهْـوا وَمَـا وَلَـدَتْ ** وَوَالِدِيْها الحَيَارَى سَاءَ مَا وَلَدُوا
وَاللهِ لَسْـتُ بِجَهْمِـيٍّ أَخَـا جَـدَلٍ ** يَقُـوْلُ فِي اللهِ قَـوْلًا غَيْـرَ مَـا يَـرِدُ
يُكَـذِّبُونَ بِأَسْـمَاءِ الإِلَـهِ وَأَوْ ** صَافٍ لَهُ بَلْ لِذاتِ اللهِ قَدْ جَحَدُوا
كَـلاّ وَلسْـتُ لِرَبّـي مِـنْ مُشَـبِّهَةٍ ** إِذْ مَـنْ يُشَـبِّهُهُ مَعْبـوْدُهُ جَسَـدُ
وَلاَ بِمُعْتَزِلـيٍّ أَوْ أَخَـا جَبَـرٍ ** فِي السَّـيئاتِ عَلـى الأَقْـدَارِ يَنْتَقِـدُ
كَـلاّ وَلَسْـتُ بِشـيْعِيٍّ أَخَـا دَغَـلٍ ** فِي قَلْبِهِ لِصِحَابِ الْمُصْطَفَى حُقَدُ
كَـلاّ وَلاَ نَاصِـبيٍّ ضِـدَّ ذَلِـكَ بَـلْ ** حُـبُّ الصَّـحَابَةِ ثُـمَّ الآلِ نَعْتَقِـدُ
وَمَـا أَرِسْـطو وَلاَ الطُّوْسِـيْ أَئِمَّتَنَـا ** وَلاَ ابنُ سَبْعِيْنَ ذَاكَ الْكَاذِبُ الفَنِدُ
وَلاَ ابـنُ سِـيْنَا وَفَارَابِيْـهِ قُـدْوَتَنَا ** وَلاَ الّـذِي لِفُصُـوصِ الشَّـرِّ يَسْـتَنِدُ
مُؤَسِّسُ الزَّيْغِ وَالإِلْحَادِ حَيْثُ يَرَى ** كُلَّ الْخَلائقِ بِالْبَارِي قَدِ اتّحدوا

مَعْبُـودُهُ كُـلُّ شَـيءٍ فِي الْوُجُـوْدِ بَـدَا ** الكَلْـبُ وَالقِـرْدُ وَالخِنْزِيْـرُ وَالأَسَـدُ
وَلاَ الطَّـرَائـِقُ وَالأَهْـوَاءُ وَالْبِـدعُ الـ ** ـضُّـلَّالُ مِمَّـنْ عَلَـى الـوَحْيَيْنِ يَنْتَقِـدُ
وَلاَ نُحَكِّـمُ فِي الـنَّصِّ الْعُقُـوْلَ وَلاَ ** نَتَـائِجَ الْمَنْطِـقِ الْمَمْحُـوْقِ نَعْتَمِـدُ

الشرح:

قال -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: (**مقدمة في براءة المتبعين**): أي: لدين الله وشرعه وهدي نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللازمين لنهج الاستقامة، والطريق القويم، وصراط الله المستقيم، المجانبين للأهواء والبدع والمُحدثات. (**براءتهم من جراءة المبدعين**): جمع مبدع وهو المحدث، وأصحاب البدع عندهم جرأة على الإحداث، والقول على الله بلا علم، والخوض في دينه بلا فهم.

(**من جراءة المبدعين وافتراءات المبتدعين**): (افراءاتهم)؛ أي: كذبهم على الله، وعلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى شرعه ودينه؛ فأهل السنة رَحِمَهُمُ اللَّهُ يتبرءون من ذلك، يتبرءون من هذه الجرأة ومن هذه الافتراءات.

ثم أعلن -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- هذه البراءة، وبدأها بهذا البيت الرائع في إعلان البراءة؛ وهو من أحسن وأجود ما نُظم في جمع باب البراءة من الباطل كله، ومن روائع نظم الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-؛ قال:

إِنِّـي بَـرَاءٌ مِـنَ الأَهْـوا وَمَـا وَلَـدَتْ ** وَوَالِدِيْها الحَيَارَى سَـاءَ مَـا وَلَـدُوا

هذه براءة عظيمة جامعة من البدع والأهواء، ومن أربابها، ومحدثيها ومنشئيها.

(**إِنِّي بَرَاءٌ مِنَ الأَهْوا وَمَا وَلَدَتْ**): (**الأَهْواء**)؛ أي: البدع المحدثة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

(**وَمَا وَلَدَتْ**): لأن البدع كما قال أهل العلم قديمًا: تتوالد؛ فإذا أُحدثت بدعة ولَّدت بدعًا، ونشأ عنها بدع؛ فالبدع تتوالد، فالبدعة تولِّد بدعًا.

وطريقة التوالد في البدع تكون:

- إما ببدعٍ متفرعة عن هذه البدعة.
- أو تكون بدعًا نشأت للرد عن هذه البدعة.

فهاذان طريقان في التوالد للبدع عندما توجد البدعة، قد يتولد منها بدعٌ متفرعةٌ عنها، وقد تتسبب في تولد بدعٍ ترد على هذه البدعة، وهو ما يسمى: الرد على البدعة ببدعة، والرد على الباطل بباطل.

فالشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- يتبرأ من ذلك كله؛ يتبرأ من البدع، ويتبرأ من كل ما تولد عن البدع؛ سواءًا مما تولَّد عنها ليعبدها، أو تولد عنها لينقضها بالباطل.

(**وَوَالِدِيْها**): وهذا فيه البراءة من محدثي البدع، ومنشئيها ومخترعيها.

(**الحَيَارَى**): وهذه الصفة تجمعهم؛ فصاحب كل هوى وباطل في حيرة وفي أمرٍ مريج.

ثم ختم بقوله: (**سَاءَ مَا وَلَدُوا**): تقريعًا لهؤلاء، وتوبيخًا، وتشنيعًا لفعالهم؛ (**سَاءَ مَا وَلَدُوا**)؛ أي: ساء فِعالُ هؤلاء.

وفي القرآن عددٌ من الآيات تُختم بمثل هذا: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٣٦]، ونحو ذلك للتقريع والتوبيخ والتشنيع.

ثم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُقسمًا بالله العظيم: (**وَاللهِ لَستُ بِجَهْمِيٍّ أَخَا جَدَلٍ**): أي: لست في اعتقادي وديانتي بجهمي أي: على طريقة الجهمية أتباع الجهم بن صفوان القائم دينه على إنكار الصفات، وجحد الأسماء، وتعطيل نعوت الرب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

(**أَخَا جَدَلٍ**): أي: مجادلة بالأهواء والضلال والباطل.

(**يَقُوْلُ فِي اللهِ قَوْلًا غَيْرَ مَا يَرِدُ**): أي: هذه طريقته ومنهاجه: القول على الله بلا علم، يقول على الله ما لا يرد؛ وهذا أعظم التقدم وأشنع التقدم بين يدي الله ورسوله. (**يَقُوْلُ فِي اللهِ قَوْلًا غَيْرَ مَا يَرِدُ**)؛ أي: لم يرد، مع العلم أن باب القول في الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بابٌ يُتوقف فيه على الوارد؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:٣٦]، ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٩]، ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [سورة الحجرات، من الآية:١].

(**يُكَذِّبُونَ بِأَسْمَاءِ الإِلَهِ وَأَوْصَافٍ لَهُ**): هذا خلاصة معتقدهم: التكذيب بأسماء الإله وأوصافه، والجهمية مُعطلة للأسماء والصفات؛ يجحدون أسماء الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وصفاته؛ ولهذا يُنقل عن الجهم قوله في جحد أسماء الله: "لو أثبتُ تسعةً وتسعين اسمًا لأثبت تسعةً وتسعين إلهًا"؛ فيجحد أسماء الله كلها، ويجحد صفات الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ولا يثبتها؛ هذه طريقة الجهمية.

وهذا الجحد للأسماء والصفات لازمُه جحد الذات، وأن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا وجود له كما قيل: والمعطِّل يعبد عدمًا.

ولهذا قال الناظم: (**بَلْ لِذاتِ اللهِ قَدْ جَحَدُوا**)؛ لأن من ينفي الصفات ويعطلها؛ لازمُ ذلك تعطيل وجحد وجود الرب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ كما مثَّل لذلك بعض السلف بمثال -وهو حماد بن زيد أو حماد بن سلمة-؛ قال: مثلُ

الجهمية مثلُ رجل قال: في دارنا نخلة، قيل له: ألها سعف؟ قال: لا، قيل له: لها خوص؟ قال: لا، قيل: لها قنو؟ قال: لا، قيل له: لها جذع؟ قال: لا، قيل له: ألها عروق...؛ فكلما ذكروا من صفات النخلة قال: لا؛ قالوا له: ما في داركم نخلة! لأن تعطيل الصفات تعطيل لوجود الموصوف بالصفات؛ فهذا مثل للجهمية؛ قالوا: إن لنا ربًا؛ قيل: صفوه؛ فكانت صفاتهم له كلها وصف بالعدم ـ لا فوق ولا تحت ولا ولا إلخ...؛ كلها نفي، قيل لهم: ليس لكم رب، أنتم تعبدون العدم؛ بل إن أبلغ أوصاف العدم هي الصفات التي جعلها الجهمية للرب؛ ولهذا قيل: والمعطل يعبد عدمًا.

(**كَلاَّ وَلسْتُ لِرَبِّي مِنْ مُشَبِّهَةٍ**): هنا يتبرأ من طريقة المشبهة، والمشبه هو الذي يقول: يد الله كأيدينا، وسمعه كسمعنا، وبصره كبصرنا..؛ تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، والتشبيه كفرٌ بالله، والمشبه كافرٌ بالله العظيم، والله تعالى يقول: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [سورة مريم، من الآية:٦٥]؛ استفهام بمعنى النفي أي: لا سميَ له، ويقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١]، ويقول: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [سورة النحل، من الآية:٧٤]، ويقول: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [سورة الإخلاص، من الآية:٤].

فيتبرأ هنا من مقالة المشبهة وهي: إثبات الصفات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على وجهٍ مقيد بوصف المخلوق؛ كقولهم: يدٌ كأيدينا، وسمعٌ كسمعنا، وبصرٌ كبصرنا..، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

قال: (**إِذْ مَنْ يُشَبِّهُهُ مَعْبُوْدُهُ جَسَدُ**): الذي يقول مقالة التشبيه في الحقيقة يعبد صنم من الأصنام؛ كما قال مَن قال مِن السلف–وهو نعيم بن حماد– قال: والمشبه يعبد صنمًا؛ لأن الذي يقول عن ربه ومعبوده: إن سمعه كسمعه، وبصره كبصره، ويده كيده، وقدمه كقدمه إلخ...؛ من يقول عن معبوده ذلك فهو في الحقيقة لا يعبد الله؛ لأن هذه ليست صفة الله، وإنما يعبد صنمًا من الأصنام ووثنًا من الأوثان، هذه ليست صفات لله.

ولهذا قال السلف: والمشبه يعبد صنما، أي: لا يعبد الله؛ لأن هذه ليست صفات الله؛ عندما يقول: يده كأيدينا، سمعه كسمعنا، بصره كبصرنا؛ هذه ليست صفات الله، الله جَلَّوَعَلَا شأنه كما قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١]، كما قال: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [سورة مريم، من الآية:٦٥]، فهذه ليست صفات الله؛ فمن قال عن معبوده إن صفاته هي هذه يده كيده سمعه كسمعه؛ فهذا ليس يعبد الله وإنا يعبد صنما من الأصنام.

فهذا معنى قول الناظم: (**إِذْ مَنْ يُشَبِّهُهُ مَعْبُوْدُهُ جَسَدُ**): أي: معبوده صنم من الأصنام ووثن من الأوثان.

(**كَلاّ وَلَستُ بِشيْعيٍّ أَخَا دَغَلٍ**): والدغل: هو ما ينطوي عليه القلب من فساد.

(**وَلاَ بِمُعْتَزِليٍّ أَوْ أَخَا جَبَرِ**): هنا يذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مقالتين متضادتين في باب القدر:

المقالة الأولى: مقالة المعتزلة وهي نفي القدر، والقول بأن الأمر أُنُف، وأن أفعال العباد ليست مخلوقة لله، وإنما هي مخلوقة للعباد أنفسهم؛ ولهذا سُمُّوا بمجوس هذه الأمة.

(**وَلاَ بِمُعْتَزَليٍّ أَوْ أَخَا جَبَرِ**): أي: صاحب الجبر، وهنا يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مقالة الجبرية وهم الجهمية، ومقالتهم في باب القدر القول بأن العبد مجبور على فعل نفسه، ونفي المشيئة عن العبد، واعتقاد أن العبد مسلوب المشيئة، لا مشيئة له ولا اختيار، وهو عندهم كالورقة في مهب الريح.

ففي باب القدر هناك مقالتان متضادتان: مقالة القدرية النفاة وهم المعتزلة، ومقالة القدرية المجبرة وهم الجهمية؛ القدرية النفاة وهم من أشار إليهم بقوله: (**وَلاَ بِمُعْتَزِليٍّ**)؛ يقولون بنفي القدر، لا قدر، والعبد هو الذي يخلق فعل نفسه لا أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قدَّره عليه.

والجبرية يجعلون العبد لا مشيئة له وأنه كالورقة في مهب الريح مسلوب المشيئة والإرادة والاختيار.

(**وَلاَ بِمُعْتَزِليٍّ أَوْ أَخَا جَبَرِ ... فِي السَّيِّئاتِ عَلى الأَقْدَارِ يَنْتَقِدُ**): يعني عندما يقع في السيئات والمعاصي ويُلام على ذلك ينتقد القدر؛ يقال له: لِمَ عصيت، لِمَ زنيت، لِمَ قتلت، لِمَ كذا..؛ ينتقد القدر، لا ينتقد نفسه، وإنما ينتقد القدر، ويلقي باللائمة على القدر؛ فهذه طريقته كما قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِي السَّيِّئاتِ عَلى الأَقْدَارِ يَنْتَقِدُ**).

وأهل السنة قولهم في هذا الباب: أن القدر لا يجوز أن يُحتج به على السيئات والمعائب، ويجوز أن يحتج به في المصائب؛ عندما يصاب الإنسان بمصيبة لم يسعى في طلبها، ابتليَ بها؛ فيقول: قدر الله وما شاء فعل؛ هذا حق. أما إنسان يترك الصلاة أو يباشر المعاصي ويقع في الآثام باختياره غير مكره، ويلام في ذلك فينتقد القدر ويلقي باللائمة على القدر؛ فهذا باطل وإفك؛ لأن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ جعل في الإنسان مشيئة يختار بها طريق الخير وطريق الشر.

ومن دلائل فساد معتقد هؤلاء الذين ينتقدون القدر في السيئات: أنهم لا يطردون مذهبهم في هذا الباب كله؛ لأنه مثلًا لو أن واحد من هؤلاء أُعتديَ على ماله، وقال المعتدي على ماله: هذا قضاء وقدر، أو اعتدى على شخصه بلطم أو ضرب أو نحوه، وقال: قضاء وقدر؛ فهل يُسلِّم الجهمي ويقبل؟ فمن دلائل فساد هذا المعتقد عدمُ طرد أصحابه له في جميع الباب.

قال: (**كَلاَّ وَلَستُ بِشيْعيٍّ أَخَا دَغَلٍ**): والدغل هو ما ينطوي عليه القلب من فساد وانحراف، وهذا إشارة إلى امتلاء قلوب هؤلاء بالغل والحقد على المؤمنين وبخاصة خيار أصحاب النبي الكريم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل

تنطوي قلوبهم نحو الصحابة في أمورٍ يقصر عنها ما في قلوبهم نحو إبليس اللعين، وفي كتبهم من الطعن والوقيعة في الصحابة ولا سيما أبي بكر الصديق وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والتشنيع عليهما، كلامًا لا يقولونه حتى في إبليس، بل قالوا في كتبهم إن منزلة أبي بكر وعمر في النار تحت منزلة إبليس نصوا على ذلك؛ فقلوبهم مليئة بالدغل؛ بالحقد والضغائن والسخائم والأمراض والأهواء.

(**كَلاَّ وَلَستُ بِشيْعيٍّ أَخَا دَغَلٍ ... في قَلْبِهِ لِصِحَابِ الْمُصْطَفَى حَقَدُ**): هذا معنى الدغل الذي في قلوب هؤلاء: أن قلوبهم منطوية على فساد عريض وهو الحقد على أصحاب المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال في القاموس: حَقَدَ عليه حِقْدًا وحَقْدًا وحَقَدًا. كلها مصادر صحيحة، والذي يتناسب مع الوزن هنا: حَقَد.

(**كَلاَّ وَلاَ نَاصِبيٍّ ضِدَّ ذَلِكَ**): أي: ضد عقيدة الشيعة في الصحابة، والناصبة بدعة مضادة لبدعة الشيعة وعلى النقيض؛ يعني الشيعة غلاتُهم يُؤلِّهون علي، والناصبة يكفرون علي على الضد تمامًا؛ فهؤلاء يغلون فيه وهؤلاء يجفون.

(**كَلاَّ وَلاَ نَاصِبيٍّ ضِدَّ ذَلِكَ بَلْ ... حُبُّ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الآلِ نَعْتَقِدُ**): وهذه عقيدتنا: عقيدتنا أنَّا نحب الصحابة ونحب الآل، لكن ماذا يعتقد الشيعة والناصبة في الصحابة والآل؟ الشيعة جملةً يطعنون في الصحابة ويغلون في الآل، وأولئك على نقيضهم -يطعنون في الآل ويغلون في الصحابة- وليس في كل الصحابة بل أيضًا يطعنون في بعض الصحابة من غير آل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم انتقل إلى ذم مقالات الفلاسفة وغلاة المتصوفة؛ فقال:

(**وَمَا أَرِسْطُو وَلاَ الطُّوْسِيْ أئمَّتنَا**): "أرسطو" هذا زعيم من زعماء الفلسفة، ومن كبار الفلاسفة؛ فيقول الناظم: ليس أرسطو إمامًا لنا؛ لأن أرسطو إمام للباطل ولأهل الباطل، وأما أهل السنة فإمامهم كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**وَلاَ الطُّوْسِيْ**): المعروف بنصير الدين الذي دخل من طريقه على أمة الإسلام شرٌ عظيم؛ فكان بذلك نصيرًا ليس للدين، وإنما نصيرًا للشرك والكفر برب العالمين؛ هذه حقيقة الرجل وحاله.

قال: (**وَمَا أَرِسْطُو وَلاَ الطُّوْسِيْ أئمَّتنَا ... وَلاَ ابنُ سَبْعِيْنَ ذَاكَ الْكَاذِبُ الفَنِدُ**): وابن سبعين من غلاة المتصوفة المبطلين، وله مقالات كلها إفكٌ وكذب مبين، ونُقلت عنه مقالات كفرية شنيعة منها قوله -كما نُقل في

ترجمته- أنه قال منتقدًا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ قال كلامًا معناه: ما أحسن ابن آمنة عندما قال: لا نبي بعدي، أو قال: ما صدق ابن آمنة، أو كلامًا نحو هذا!! وله كلامٌ كُفر صراح.

قال: (وَلاَ ابنُ سَبْعِيْنَ ذَاكَ الْكَاذِبُ الفَنِدُ): فوصفه بالكاذب؛ لأن له مقالات فيها افتراء على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعلى رسوله -صلوات الله وسلامه عليه-.

(وَلاَ ابنُ سِيْنَا وَفَارَابِيْهِ قُدْوَتَنَا): ابن سينا معروف، وفارابيه أبو نصر الفرابي وهؤلاء من أئمة الفلاسفة.

(وَلاَ الّذِي لِفصُوصِ الشَّرِّ يَسْتَنِدُ): يقصد ابن عربي: محي الدين بن عربي.

وقوله: (فصُوصِ الشَّرِّ): يقصد كتابه الذي سماه: [**فصوص الحكم**]؛ نعته المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بـ [فصوص الشر].

(مُؤَسِّسُ الزَّيْغِ وَالإِلْحَادِ حَيْثُ يَرَى ... كُلَّ الْخَلائقِ بِالْبَارِي قَدِ اتّحدوا): يذكر هنا عقيدة ابن عربي: وهي أن الله -تعالى عما يقول- اتحد في الخلائق، وأصبح -سبحانه وتنزه وتقدس عما يقول علوًا عظيمًا؛ أصبح هو والخلق شيءٌ واحد، الرب عبدٌ والعبد ربٌّ لا فرق بينهما.. فجعل الخالق المنزه هو عين المخلوق. ولا فرق بينهما..

(مُؤَسِّسُ الزَّيْغِ وَالإِلْحَادِ حَيْثُ يَرَى): أي: يعتقد.

(كُلَّ الْخَلائقِ بِالْبَارِي قَدِ اتّحدوا): معبوده كل شيء. الذي يقول إن الخلائق بالباري قد اتحدوا، وأصبح المخلوق والخالق شيئًا واحدًا؛ يصبح معبوده كل شيء، على زعم هؤلاء أن الخلائق اتحدوا في الباري وأصبحوا هم والباري شيئًا واحد. يصبح الحال إذًا أن معبود هؤلاء كل شيء.

(مَعْبُوْدُهُ كُلُّ شَيءٍ فِي الْوُجُوْدِ بَدَا ... الكَلْبُ وَالقِرْدُ وَالخِنْزِيْرُ وَالأَسَدُ): لأن هذه كلها أيضًا بزعمه هي متحدة في الله، والذي يعبدها إنما يعبد الله؛ لأنه لا فرق؛ ولهذا بلغت الشناعة بهؤلاء إلى التصريح حتى بهذا؛ ليس فقط أن هذا إلزام لهم، لا، حتى التصريح، يعني: أحد غلاة هؤلاء مرَّ مع رفقةٌ له فمر بكلب ميت؛ فحمله رفيقه وقال: وهل هذا هو؟ قال: وهل ثَمَّ غيره؟! يعني ما يوجد في الكون غير الله، كل ما في هذا الكون هو الله؛ إذًا معبوده كل شيء -الكلب والخنزير والأسد وجميعًا-؛ وهذا كله كفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لما ذكر هذه النماذج والأمثلة من الفرق والنِّحَل والمذاهب الفاسدة؛ قال: (وَلاَ الطَّرَائقُ وَالأَهْوَاءُ وَالْبدعُ ... الضُّلَّالُ مِمَّنْ عَلَى الوَحْيَيْنِ يَنْتَقِدُ): أي: أبرأ من ذلك كله؛ من كل طريقةٍ وبدعةٍ وهوىً يُعارض الوحيين، وينتقد كلام الله وكلام رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال: (وَلاَ نُحَكِّمُ فِي النَّصِّ الْعُقُوْلَ وَلاَ ... نَتَائِجَ الْمَنْطِقِ الْممحُوْقِ): لا نحكم العقول ولا نتائج المنطق، بل الوحي هو الحاكم، والعقل محكوم، والوحي إمام، والعقل تابع. (وَلاَ نُحَكِّمُ فِي النَّصِّ الْعُقُوْلَ)؛ يعني: لا نجعل العقول حاكمةً على النص؛ أي: ما قبلته العقول قُبِل وما ردته رُدَّ؛ هذا باطل.

ولا أيضًا (نَتَائِجَ الْمَنْطِقِ الْممحُوْقِ): المنطق هو ما جاء به الفلاسفة؛ فلا نجعل كلام الفلاسفة حاكمًا على وحي الله المبين، وهدي نبيه الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(الْممحُوْقِ): أي: الذي لا خير فيه، ممحوق الخير والنفع والفائدة.

المتن:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَكِـنْ لَنَـا نَـصٌّ آيـاتِ الْكِتَـابِ وَمَـا ** عَـنِ الرَّسُـوْلِ رَوَى الأَثْبَـاتُ مُعْتَمَـدُ
لَنَا نُصُـوْصُ الصَّحِيْحَيْنِ اللَّذَيْنِ لَهَا ** أَهْلُ الوِفَاقِ وَأَهْلُ الخُلْفِ قَدْ شَـهِدُوا
وَالأَربَـعُ السُّـنَنُ الغُـرُّ التي اشْـتَهَرَتْ ** كُـلٌّ إِلَـى المُصْـطَفَى يَعْلـو لَـهُ سَـنَدُ
كَـذَا الْمُوَطَّـا مَـعَ الْمُسْتَخْرَجَاتِ لَنَـا ** كَـذَا المَسَـانِيْدُ لِلْمُحْـتَجِّ مُسْـتَنَدُ
مُسْتَمْسِـكِيْنَ بِهَـا مُسْتَسْـلِمِيْنَ لَهَـا ** عَنْهَـا نَـذُبُّ الْهَـوَى إنّـا لَهَـا عَضُـدُ
وَلاَ نُصِـيْخُ لِعَصْـرِيٍّ يَفُـوْهُ بِمَـا ** يُنَـاقِضُ الشَّـرْعَ أَوْ إِيـاهُ يَعْتَقِـدُ
يَـرَى الطَّبِيعَـةَ فِي الأَشْـيَا مُـؤَثِّرَةً ** أيـنَ الطَّبِيعَـةُ يَـا مَخْذُوْلُ إِذْ وُجِـدُوا؟
وَمَـا مَجَلاَّتُهُـمْ وِرْدِي وَلاَ صَـدَرِي ** وَمَـا لِمُعْتَنِقِيْهَـا فِي الفَـلاَحِ يَـدُ
إِذْ يُـدْخِلُوْنَ بِهَـا عَـادَاتِهِمْ وَسَـجَا ** يَـاهُمْ وحكـمَ طَوَاغِيْـتٍ لَهُـمْ طُـرِدُوا
مُحَسِّـنِيْنَ لَهَـا كيمـا تَـرُوْجُ عَلَـى ** عُمْـيِ الْبَصَـائِرِ مِمَّـنْ فَاتَـهُ الرَّشَـدُ
مِـنْ أَجْـلِ ذَلِـكَ قَـدْ أَضْـحَى زَنَادِقَـةٌ ** كَثِيْـرُهُمْ لِسَـبِيْلِ الغَـيِّ قَـدْ قَصَـدُوا
يَـرَوْنَ أَنْ تَبْـرُزَ الأُنْثَـى بِزِيْنَتِهَـا ** وَبَيْعَهَـا الْبُضْـعَ تَـأْجِيْلًا وَتَنْتَقِـدُ
مِـنْ أَجْـلِ ذَلِـكَ بِـالإِفْرَنْجِ قَـدْ شُـغِفُوْا ** بِهِـمْ تَزَيَّـوا وَفِي زَيِّ التُّقَـى زَهِـدُوا
وَبِالْعَوَائِـدِ مِـنْهُمْ كُلِّهَـا اتَّصَـفُوا ** وَفِطْـرَةَ اللهِ تَغْيِيـرًا لَهَـا اعْتَمَـدُوا
عَلَـى صَـحَائِفِهِمْ يَـا صَاحِ قَدْ عَكَفُـوا ** وَلَـوْ تَلَـوْتَ كِتَـابَ اللهِ مَـا سَـجَدُوا
وَعَـنْ تَـدَبُّرِ حُكْـمِ الشَّـرعِ قَـدْ صُـرِفُوا ** وَفِي الْمَجَلاَّتِ كُـلَّ الـذَّوْقِ قَـدْ وَجَـدُوا

وَللشَّـوَارِبِ أَعْفُـوا واللِّحَـى نَتَفُـوا ** تَشَـــبُّهًا وَمَجَـــارَاةً وَمَـــا اتَّـــأَدُوا

قَــالوا رُقِيًّــا فَقُلْنَــا لِلْحَضِـيْضِ نَعَــمْ ** تُفْضُـوْنَ مِنْـهُ إِلَـى سِـجِّيْنَ مُؤْتَصَـدُ

ثَقَافَـةٌ مِـنْ سَـمَاجٍ سَـاءَ مَـا أَلِفُـوا ** حَضَـارَةٌ مِـنْ مُـرُوْجٍ هُـمْ لَهَـا عَمَـدُوا

عَصْـرِيَّةٌ عَصَـرَتْ خُبْثًـا فَحَاصِـلُهَا ** سُـمٌّ نَقِيْـعٌ وَيَـا أَغْمَـارُ فَـازْدَرِدُوا

مَـوْتٌ وَسَـمُّوْهُ تَجْدِيْـدَ الْحَيَـاةِ فَيَـا ** لَيْتَ الـدُّعَاةَ لَهَـا فِي الـرَّمْسِ قَدْ لُحِدُوا

دُعَاةُ سُوْءٍ إِلَى السَّوْأى تَشَابَهَتِ الْـ ** قُلُوْبُ مِنْهُمْ وفِي الإِضْلاَلِ قَدْ جَهِدُوا

مَــا بَــيْنَ مُسْــتَعْلِنٍ مِــنْهُمْ وَمُسْــتَتِرٍ ** وَمُسْــتَبِدٍّ وَمَـــنْ بِـــالْغَيْرِ مُحْتَشِـــدُ

لَهُــمْ إِلَــى دَرَكَــاتِ الشَّــرِّ أَهْوِيَـةٌ ** لَكِـنْ إِلَى دَرَجَاتِ الخَيْـرِ مَـا صَـعَدُوا

وَفِي الضَّــلاَلاَتِ والأَهْـوَا لَهُـمْ شُـبَهٌ ** وَعَـنْ سَبِيْلِ الْهُدَى والحَقِّ قَدْ بَلِدُوا

صُـمٌّ وَلَـوْ سَـمِعُوْا بُكْـمٌ وَلَـوْ نَطَقُـوا ** عُمْـيٌ وَلَـوْ نَظَـرُوا بُهْـتٌ بِمَـا شَـهِدُوا

عَمُـوا عَـنْ الحَـقَّ صُـمُّوا عَـنْ تَـدَبُّرِهِ ** عَـنْ قَوْلِـهِ خَرِسُـوْا فِي غَـيِّهِم سَـمَدُوا

كَـــأَنَّهُمْ إِذْ تَـــرَى خُشْـــبٌ مُسَـــنَّدَةٌ ** وَتَحْسَـبُ الْقَـوْمَ أَيقَاظًـا وَقَـدْ رَقَـدُوا

بَاعُوا بِهَا الدِّيْنَ طَوْعًا عَنْ تَـرَاضٍ وَمَـا ** بَـالَوا بِـذَا حَيْـثُ عِنْـدَا اللهِ قَـدْ كَسَـدُوا

يَــا غُرْبَــةَ الــدِّيْنِ والمُسْتَمْسِـكِيْنَ بِـهِ ** كَقَـابِضِ الْجَمْـرِ صَـبْرًا وَهْـوَ يَتَّقِـدُ

المُقْبِلِـــيْنَ عَلَيْـــهِ عِنْـــدَ غُرْبَتِـــهِ ** وَالمُصْـلِحِيْنَ إِذا مَـا غَيْـرُهُمْ فَسَـدُوا

إِنْ أَعْـرَضَ النَّـاسُ عَـنْ تِبْيَانِـهِ نَطَقُـوا ** بِـهِ وَإِنْ أَحْجَمُـوا عَـنْ نَصْـرِهِ نَهَـدُوا

هَـذَا وَقَـدْ آنَ نَظْـمُ الْعِقْـدِ مُعْتَصِـمًا ** بِـــاللهِ حَسْـــبِي عَلَيْـــهِ جَـــلَّ أَعْتَمِـــدُ

الشرح:

ثم أخذ يبين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- ما يستند إليه أهل الحق، وما يعتمدون عليه في تقرير المعتقد وعموم أمور الدين؛ قال: (لَكِنْ لَنَا): أي: معاشر أهل السنة والحق.

(لَنَا): أي: معتمدًا ومرجعًا.

(نَصُّ آيَاتِ الْكِتَابِ وَمَا ... عَنِ الرَّسُوْلِ رَوَى الأَثْبَاتُ مُعْتَمَدُ): أي: معتمدنا في ديننا كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تَضِلُّوا؛ كتاب الله وسُنَّتي**».

فمعتمد أهل السنة في أمور الدين -العقيدة وغيرها- على كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (**وَمَا عَنِ الرَّسُوْلِ رَوَى الأَثْبَاتُ**): أخذ يُفصِّل في هذه الجملة؛ فيُبين مضان رواية الأثبات عن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والمراجع التي يُرجع إليها في معرفة ما رواه الأثبات عن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: (**لَنَا نُصُوْصُ الصَّحِيْحَيْنِ**): وبدأ بهما لأنهما أصح الكتب بعد كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، الصحيحين: صحيح البخاري وصحيح مسلم -عليهما رحمة الله-.

(**لَنَا نُصُوْصُ الصَّحِيْحَيْنِ اللّذَيْنِ لَهَا ... أَهْلُ الوِفَاقِ وَأَهْلُ الخُلْفِ قَدْ شَهِدُوا**): أي: قد شهد للصحيحين بذلك -أي: بالصحة-. (**أَهْلُ الوِفَاقِ وَأَهْلُ الخُلْفِ**)؛ أهل الخلف؛ يعني الموافق والمخالف شهد لها بذلك. قال: (**لَنَا نُصُوْصُ الصَّحِيْحَيْنِ اللّذَيْنِ لَهَا ... أَهْلُ الوِفَاقِ وَأَهْلُ الخُلْفِ قَدْ شَهِدُوا**)؛ يعني: شهدوا لها بالصحة والفضل والمكانة (**أَهْلُ الوِفَاقِ وَأَهْلُ الخُلْفِ**)؛ أي الموافق والمخالف.

(**وَالأَربَعُ السُّنَنُ**): أي: سنن الترمذي وابن ماجه وأبو داود والنسائي.

(**وَالأَربَعُ السُّنَنُ الغُرُّ التي اشْتَهَرَتْ**): أي: اشتهرت بين الناس وبين أهل العلم وطلابه.

(**كُلٌّ إِلَى المُصْطَفَى يَعْلو لَهُ سَنَدُ**): كلٌ من أصحاب هذه الكتب يعلو له السند إلى المصطفى، تجده من أول الكتاب إلى آخره يسوق الأسانيد؛ بابٌ حدَّثنا فلان عن فلان عن فلان قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ينتقل إلى إسناد آخر.. إلى أن ينتهي من الكتاب، وإسناده يعلو إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وهذه خصيصة الأمة وميزتها. تجد الإسناد متصل بين المصنف وبين الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالرجال الأثبات الثقات، حدثنا فلان وهو ثقة، حدثنا فلان وهو ثقة.. إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيأخذ الحديث بإسناده الصحيح الثابت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيعتمده ويدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما دل عليه هذا الحديث.

فهذه طريقة أهل السنة والجماعة؛ يعتمدون على الكتاب وعلى ما رواه الأثبات عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيحين والسنن الأربعة.

(**كَذَا الْمُوَطّا**): للإمام مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-.

(**مَعَ الْمُسْتَخْرَجَاتِ**): أي: الكتب سواءً على الصحيحين، أو على السنن، أو على بعضها.

والمستخرج كتابٌ يسوق فيه المستخرج أحاديث الكتاب الذي يستخرج عليه بإسناده هو، يسوق الأحاديث بإسناده هو من غير طريق المصنف؛ فيكون بمثابة المستخرج على الكتاب؛ ولهذا يوجد مستخرج على البخاري، وعلى مسلم، وعلى بعض السنن.

(**كَذَا المَسَانِيْدُ**): أي: الكتب التي صنفها الأئمة على مسانيد الرجال، مسانيد الصحابة كمسند الإمام أحمد وغيره.

(**كَذَا المَسَانِيْدُ لِلْمُحْتَجِّ مُسْتَنَدُ**): أي: يستند إليه المحتج؛ فمن أراد أن يحتج يقول: روى فلان في مستخرجه، روى فلان في مسنده، روى فلان في سننه.. إلى آخره؛ فيستند إليها عندما يُريد الاحتجاج.

قال: (**مُسْتَمْسِكِيْنَ بِهَا مُسْتَسْلِمِيْنَ لَهَا ... عَنْهَا نَذُبُّ الْهَوَى إِنّا لَهَا عَضُدُ**): هذه مصادرنا، وهذه التي نعول عليها، وهذا الذي نتمسك به. وإنا عنها نذب.

(**وَلاَ نُصِيْخُ لِعَصْرِيٍّ**): أي: لا نستمع.

(**يَفُوْهُ بِمَا يُنَاقِضُ الشَّرْعَ**): أما العصري أي العالم المعاصر الذي يبني علمه على الكتاب والسنة؛ نجلس عنده ونستمع إليه ونستفيد منه. لكن العصري الذي يفوه -أي يتكلم- بما يناقض الشرع.

(**أَوْ أياهُ يَعْتَقِدُ**): أي: يناقض الشرع ويناقض دين الله؛ فهذا ما نستمع إليه ولا نصغي إليه.

ثم ذكر من شنائع مقالات العصري الذي يناقض الشرع في أعظم مناقضته له؛ قال: (**يَرَى الطَّبِيعَةَ فِي الأَشْيَا مُؤَثِّرَةً**): أي: هي المتصرفة في الأشياء، وهي المدبرة للأشياء؛ ثم يقول في الرد: (**أَينَ الطَّبِيعَةُ يَا مَخْذُوْلُ إِذْ وُجِدُوا؟**): يعني إذا كنت تقول: أن الطبيعة مؤثرة في الأشياء! أين هذه الطبيعة إذ وُجدوا إذا كانت هي مؤثرة، فوجودها ووجود غيرها من الأشياء المؤثرة بتأثير من؟ لأنه يُنكر وجود الله وينكر تصرف الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وتدبيره، ويقول: هذه بتصريف الطبيعة؛ (**أَينَ الطَّبِيعَةُ يَا مَخْذُوْلُ إِذْ وُجِدُوا؟**)؛ يعني: هل الأشياء الذي تزعم أنها مؤثرة في الأشياء عندما وُجدت هذه الأشياء المؤثرة أين الطبيعة؟!! أين الطبيعة المؤثرة قبل وجود هذه الأشياء التي تزعم أنها هي المؤثرة؟!!

فهذا بيان لفساد عقيدة هؤلاء. (**أَينَ الطَّبِيعَةُ يَا مَخْذُوْلُ إِذْ وُجِدُوا؟**).

(**وَمَا مَجَلاَّتُهُمْ وِرْدِي وَلاَ صَدَرِي**): يعني لهم مجلاتهم ينشرون فيها باطلهم؛ يقول: لا أنظر إليها ولا ألتفت إليها، ليست وردي ولا صدري، لا أرد لا أجعلها موردًا لي، ولا أصدر أيضًا عنها وعمَّا فيها.

(**وَمَا لِمُعْتَنِقِيْهَا فِي الفَلاَحِ يَدُ**): لمن يعتنق ما في مجلاتهم ومقالاتهم ليس له في الفلاح يد؛ أي: لا يُفلح من كان كذلك.

(**إِذْ يُدْخِلُوْنَ بِهَا**): يعني محتويات هذه المجلات. (**يُدْخِلُوْنَ بِهَا عَادَاتِهِمْ وَسَجَايَاهُمْ**)؛ هذا الذي يذكرونه؛ عادات وسجايا ويجعلونها هي الـمُحتكَم، وعليها الـمُعَوَّل.

(وحكمَ **طَوَاغِيْتٍ لَهُمْ طُرِدُوا**): أي: وصفُهم وشأنُهم الطرد والإبعاد، الطاغوت مطرود ومُبعد، (وحكمَ **طَوَاغِيْتٍ لَهُمْ طُرِدُوا**)؛ الطاغوت هو المطرود المُبعد من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فـ (**طُرِدُوا**)؛ أي: عن الرحمة.

(**مُحَسِّنِيْنَ لَهَا**): أي: لمجلاتهم ومقالاتهم، من أجل ماذا؟

قال: (**كيما تَرُوْجُ**): حتى تنتشر؛ يحسنونها؛ أي: ينمقونها ويزينونها ويشيدون بها، (**كيما تَرُوْجُ عَلَى عُمْيِ الْبَصَائِرِ**): أي: كي تروج على أعمي البصيرة الذي يغتر بزخرف القول وتزيين الباطل.

(**مِمَّن فَاتَهُ الرَّشَدُ**): أي: سبيل الرشاد، فلا تنطلي تلك المجلات إلا على أعمى بصيرة. (**فَاتَهُ الرَّشَدُ**)؛ أي: سبيل الرشاد.

(**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَدْ أَضْحَى زَنَادِقَةٌ**): يعني من أجل هذا الترويج وهذا العمل الدؤوب في تلك المجلات والنشر لها؛ (**أَضْحَى زَنَادِقَةٌ**): أي: يوجد زنادقة بسبب هذه الدعوة الظالمة الآثمة.

قال ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وقت كانت تُنشر فيه مجلات على نطاق ضيق مقارنة بالواقع الآن، أما الآن الزندقة تُنشر على أوسع نطاق، الزندقة في زماننا هذا تُنشر على أوسع نطاقٍ عُرف في التاريخ، الآن وُجدت وسائل اتصال حديثة ساهمت مساهمة شديدة جدًا في نشر الزندقة والباطل والأهواء، وقد كان صاحب الباطل لا يستطيع أن يصل إلى أفكار الشباب في بيوت المسلمين وديارهم، وبينهم وبينه حواجز حتى يصل إلى فكر الشاب أو عقله، أين يصل صاحب الزندقة وصاحب الضلال إلى الشاب في قريته؟ وفي قعر بيته، والبنت في قعر بيتها؟ الآن عن طريق القنوات الفضائية وعن طريق الشبكات العنكبوتية دخلت هذه كلها في جل البيوت إلا من رحم الله، مع قلة العلم وضعف الدين، ويجلس الشاب أو الشابة أمام هذه القنوات وأمام هذه المواقع، ويبدأ بفضول ينظر ماذا عندهم، ومع الأيام تتخلخل المعتقدات، وتخرب الأديان، وتنحل الأخلاق، ويشيع الفساد، وتمتلئ القلوب بالشهوات والشبهات.

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصف حال مجلات يعني على نطاق ضيق تُنشر في أوساط الناس، ويقول: يعني أنها تسببت في وجود زندقة.

(**أَضْحَى زَنَادِقَةٌ كَثِيْرُهُمْ لِسَبِيْلِ الغَيِّ قَدْ قَصَدُوا**): يقصدون سبيل الغي، والغي ضد الرشاد؛ بسبب تلك المجلات. هذا قاله في ذاك الوقت.

لكن لو جاء في وقتنا هذا ماذا يقول الشيخ؟!

لو رأى زماننا هذا ماذا يقول -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-؟! نسأل الله أن يرحمنا برحمته، وأن يحفظنا وذرياتنا، وأن يُعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يقبضنا إليه غير مفتونين، اللهم إنا نعوذ بك أن نَضل أو نُضل.

قال: (**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَدْ أَضْحَى زَنَادِقَةٌ ... كَثِيْرُهُمْ لِسَبِيْلِ الغَيِّ قَدْ قَصَدُوا**)؛ وهذه من آثار الدعوة ونتائجها، دعوة أهل الباطل أنها تفرز في الناس زهدًا في الحق، وإقبالًا على الباطل، وقصدًا له وطلبًا له وسعيًا لفعله.

(**كَثِيْرُهُمْ لِسَبِيْلِ الغَيِّ قَدْ قَصَدُوا**): تجد آثار أو نتائج المتأثرين بدعوة هؤلاء الزنادقة؛ أنه زهد في الخير، لا يقبل على الخير ولا يُقبل عليه، وتجد نفسه متطلعة دائمًا في البحث عن الباطل والشهوات والرذائل والخسائس والحقارات؛ هذا الذي يبحث عنه ويطلبه.

يذكر الآن من الأشياء التي يدعون إليها:

(**يَرَوْنَ أَنْ تَبْرُزَ الأُنْثَى بِزِيْنَتِهَا**): وهذه أكبرُ هم عندهم، وأعظم أمر يسعون في الدعوة إليه وتحقيقه: أن تبرز الأُنثى بزينتها، ويتحدثون بلهجة المشفق على الأنثى، والباحث عن حقوقها، والساعي في مطالبها، ورفع الظلم والاضطهاد عنها، والأنثى مظلومة وهكذا... إلى آخره، والمقصود: أن تبرز الأنثى بزينتها. ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ [سورة النساء، من الآية:٢٧].

(**وَبَيْعَهَا الْبُضْعَ**): أي: الفرج؛ والمقصود أنها تقع في الفاحشة والرذيلة؛ يريدون ذلك منها. (**وَبَيْعَهَا الْبُضْعَ تَأْجِيْلًا وَتَنْتَقِدُ**): يعني: تأخذ المقابل على بيعها البُضع.

(**تَأْجِيْلًا**): يعني: الثمن مؤجل. (**وَتَنْتَقِدُ**): الثمن حالي؛ هذا يُريدونه من الأنثى، يريديون أن تخرج بزينتها؛ هذه خطوة أولى، وإذا خطت هذه الخطوة جاءت الخطوة الثانية وهي أن تبيع البضع تأجيلًا وتنتقد.

(**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ**): من أجل تحقيق هذا الأمر.

(**بِالإِفْرَنْجِ قَدْ شُغِفُوْا**): يعني: شُغفت قلوبهم بالإفرنج، وأصبحوا ينظرون إلى ما يسمونه بحضارات هؤلاء، وهي حقارات وخسائس ورذالات أولئك، فأصبحوا يقتدون بهم، وأهم ما يُطلب من الأنثى ما يسمونه: بمتابعة الإفرنج في ما يسمى بالحضارات -وهو حقارات- في قص الشعر، في اللباس، في المظهر.. إلى آخره، ولا تزال تجري الأنثى وراء ذلك، وكل شهر شهرين ثلاثة..؛ يأتون لها الإفرنج بأشياء جديدة، والتي ما تتابع ذلك ولا تسعى في متابعته هذه، ماذا؟ متخلفة وهذه رجعية وهذه كذا؛ فيدفعونها بمثل هذه الألقاب، ويستغلون ضعف الأنثى إلى أن تخرج بزينتها.

(**بِهُمْ تَزَيَّوا**): يعني بالإفرنجي تزيوا؛ أخذوا يلبسون لباس الإفرنج، رجالًا وإناثًا، ويتشبهون بهم في ألبستهم.

(وَفِي زَيِّ التُّقى زَهِدُوا): وسبحان الله! من عجائب الأمر أن هؤلاء الذي يأتي من الإفرنج بسبب أنهم شغفت قلوبهم بهم يقبلونه أيًّا كان، والذي يأتي في السنة لا يقبلونه.

الآن أجد مثالًا على ذلك وذكرته مرةً أو غير مرة: قبل سنوات كان بعض الشباب غير المتدين يستهزئ بمن ثوبه إلى نصف الساق، وإذا مر به سخر منه واستهزأ به، ثم يوم من الأيام أصبحت الموضة في بلاد الغرب أن البنطال إلى الركبة، وخرجوا للشوارع ببناطيل إلى الركب، ثم زاد الغرب وجعلوا البنطال إلى الركبة ومقصص من أسفله قصات شنيعة قبيحة مُتلفة للباس؛ ففعلوا مثله.. فخرجوا بالبنطال إلى الركبة ومقصص بشكل شنيع ويمشي في الشارع وهو قبل فترة كان يسخر من المتدين الذي ثوبه إلى أنصاف ساقه؛ هذا ماذا يُفسر؟ إلا عمى القلوب والرين عليها -والعياذ بالله-، والإعجاب بكل ما يأتي من الكافر أيًّا كانت صفته، ومهما كان قبحه وشناعته، ورد الحق مهما كان حسنه وجماله، و﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة الحج، من الآية:٤٦].

قال: (وَبِالْعَوَائِدِ مِنْهُمْ كُلِّهَا اتّصَفُوا): يعني جميع العادات المعروفة عند أولئك؛ في المشي، في الأكل، في المخاطبة، في المحادثة.. إلى آخره؛ اتصفوا، وكل ما كان أكثر اتصافًا بعادات أولئك وتشبهًا بهم؛ كلما كان يُوصف بأنه أكثر حضارة ورقي، فلان يعني متحضر، فلان راقي، ويُعطى من مثل هذه الألقاب التي تغش الآخرين، وتورط الجاهلين.

قال: (وَبِالْعَوَائِدِ مِنْهُمْ كُلِّهَا اتّصَفُوا ... وَفِطْرَةَ اللهِ تَغْيِيرًا لَهَا اعْتَمَدُوا): أصبحت الفطرة بسبب ذلك تتغير شيئًا فشيئًا، وتُمسَخ تدريجيًا. وسيذكر على ذلك مثالًا.

(عَلَى صَحَائِفِهِمْ يَا صَاحِ قَدْ عَكَفُوا): يعني: عكفوا على صحائف أولئك، أما الآن عكفوا على القنوات والمواقع.

(وَلَوْ تَلَوْتَ كِتَابَ اللهِ مَا سَجَدُوا): أي: ما يؤثر فيهم القرآن، ولا تؤثر فيهم المواعظ، لكنهم على صحائف أولئك عكفوا -أي: لازموا الجلوس؛ لأن العكوف الجلوس الطويل-، وكم من عكوفٍ يحصل على مواقع هؤلاء؟!

يعني: بعض الناس حتى بعض المتدينين الآن يتورط، تجده يجلس عاكفًا على القنوات الآثمة إلى أن يُؤذن الفجر، حتى وقت النزول الإلهي عاكفًا على حقارة هؤلاء -نسأل الله العافية-.

حتى أوقات الصلوات بعضهم يبقى عاكفًا، يُنادى للصلاة ويبقى عاكفًا إلى أن تخرج الصلاة وهو عاكف على حقارة هؤلاء ورذالات هؤلاء!!...

ثم ماذا ينظر والصلاة يُنادى لها، وأوقات الخير والفضائل تمر، وساعات الخير والبركة تمر، ماذا ينظر؟ ينظر إلى أخس ما عند هؤلاء من فجورٍ وعهر وانحلال، وضياع. ثم النفس بعد هذا الجلوس الطويل والعكوف الآثم؛ تخرج متهيجةً في طلب الفساد، ما يمكن يخرج من هذا العكوف شغوفٌ بالعلم، حريصًا على الصلاة، راغبًا في الدين، وإنما يخرج من هذا العكوف متتبعًا الشهوات وباحثًا عن الرذائل.

(**وَعَنْ تَدَبُّرِ حُكْمِ الشَّرعِ قَدْ صُرِفُوا**): أي: بسبب تلك المجلات ما أصبح عندهم وقت يتدبرون كلام الله، ويتأملون في هدي رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه-.

(**وَفِي الْمَجَلاَّتِ كُلَّ الذَّوْقِ قَدْ وَجَدُوا**): يعني: أصبحوا لا يتذوقون إلا تلك المجلات الحقيرة الهابطة.

قال: (**وَللشَّوَارِبِ أَعْفُوا واللِّحَى نَتَفُوا**): يُقال: اللُّحى (بالضم)، ويُقال: اللِّحى؛ كلها صحيح لغةً.

(**وَللشَّوَارِبِ أَعْفُوا واللِّحَى نَتَفُوا**): ما قال: حلقوا؛ لأن النتف أبلغ في إزالة اللحية؛ لأن الذي ينتف لحيته يصبح وجهه أمرد مثل أخته تمامًا، مع أن ميزة الرجل وزينته وجماله اللحية؛ فإذا نتف اللحية أصبح وجهه أمرد مثل أخته سواء، وبعضهم لا يكتفي بذلك؛ يأخذ من المكياج الذي عند أخته ويضع حتى يزداد نعومةً.

وأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت إذا أرادت أن تحلف تقول: "والذي زين الرجال باللحى". الرجل زينتُه لحيته وجمالُه للحية، لكن مع التغيرات هذه الفطرة تحولت، فأصبح من تحولت الفطرة، لا يرى نفسه جميلًا إلا إذا نتف اللحية نتفًا ولم يكتف بالحلق. فينتفها نتفًا حتى يبقى وجهه أمرد تمامًا، وبعضهم فعلًا لا يكتفي بذلك بل يضع أشياء وربما يُباع في بعض المحلات مكياج للرجال بعد نتف اللحية يضعونها، حتى يُصبح الوجه أمرد تمامًا؛ هذا التحول في الفطر.

«**عشرٌ من الفطرة**»؛ إعفاء اللحية، وقص الشارب؛ هذا شيء فطر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العباد عليه، لكن مع هذه المجلات، ومع هذه القنوات، ومع هذه الدعوات الآثمة أصبح تحوُّل في الفطر وتغيُّر فيها.

(**وَللشَّوَارِبِ أَعْفُوا واللِّحَى نَتَفُوا**): السُّنة والفطرة قصُّ الشارب وإعفاء اللحية، وتجد بعض الناس يحلق اللحية ويُعفي الشارب؛ بحيث يكون الشارب طويلًا ممتدًا يمينًا وشمالًا ونازل على الفم، يعني: يُغطي الفم تمامًا.

وسنة من السنوات قبل أكثر من تقريبًا أو قرابة ثلاثين سنة عُقدت مسابقة على مستوى العالم: أطول شارب، مسابقة دولية على مستوى العالم: أطول شارب. وفاز رجل بأطول شارب في العالم ونُشر في الصحف، سبحان الله! إذا رأيته تستوحش وتستنكر؛ لأن الفطرة متغيرة تمامًا.

وكتَبَ سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذاك الوقت نشرةً أو فتوى يُبين بطلان هذا العمل، ويُحذر من نشره في الصحف؛ لأن نشره في الصحف ماذا يؤثر؟ في الجهلة والحمقى والتافهين؛ يبدأ يحلق لحيته ويطول شاربه لعله يفوز في المسابقة في عامٍ قادم، ويصبح أطول شارب في العالم. وهذا قبح وشناعة وبشاعة في المنظر.

وأما الأضرار الصحية والنفسية لا حد لها؛ لأن الآن الذي يُطيل شاربه، أنا حقيقة ما أُخفيكم، أتسائل أحيانًا أقول: هذا الذي يطيل شاربه حتى يُغطي فمه! إذا أراد أنه يشرب الإدام كيف يفعل بالملعقة؟ والشارب نازل على الفم، وأقدر في نفسي أقول: لا أظن يحتاج إلى ملعقتين أو ملعقة وشوكة، ملعقة يحمل فيها الإدام، وشوكة يرفع بها الشارب حتى يستطيع أن يدخل الطعام إلى فمه.

وأما إذا أراد أن يُقبل مثل زوجته ولا طفلته الصغيرة هذه كارثة، الصغير الطفل الآن اللي عمره سنتين أو ثلاث ويُقبِّله؛ شخصًا هذه صفته يقول: يا ليت الله أراحنا من ها القبلة هذه!! هذا شر -أعوذ بالله-، ومع ذلك تجده معجب بنفسه ومعجب بمنظره، لكن كل هذا من إفراز مثل هذه الأمور، تفسد الفطر وتتغير -والعياذ بالله- ويرى حسنًا ما ليس بالحسنِ.

لماذا يفعلون هذه الأمور؟ قال: (**تَشَبُّهًا وَمَجَارَاةً وَمَا اتَّأَدُوا**): سبحان الله! كلمةُ: (**وَمَا اتَّأَدُوا**)؛ والله جميلة في موضعها؛ يعني لو أن هؤلاء اتأدوا قليلًا وتأنَّـوا وتفكروا في الأمر لوجدوه قبيحًا، لكن مباشرةً يأتي من هؤلاء بدون تؤدة وبدون تأني يأخذونه مأخذ القبول والتسليم، ويباشرون فعله بدون حياء من الله، ولا من خلق الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ. لكن لو اتأدوا وتأنوا وتأملوا في الأمر لعزفت نفوسهم عنه.

ثم إذا سُئلوا: ما هذا الذي تفعلونه؟! وهل أشياء القبيحة والشنيعة ما هذا الأمر؟

(**قالوا رُقِيًّا**): يعني: هذه الممارسات وهذه الأفعال رقي.

(**فَقُلْنَا لِلْحَضِيْضِ نَعَمْ**): يعني: هذا رقي يصل بكم إلى الحضيض، يعني إلى الهلكات والدركات، إذا استمريتم على هذا الذي تسمونه رقي لن تصلون منه إلا إلى الحضيض.

(تُفْضُوْنَ مِنْهُ إِلَى سِجِّيْنَ مُؤْتَصَدُ): ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ﴾ [سورة الهمزة، من الآية:٨]؛ فإذا استمر على هذه الحال وهذه المتابعة لأهل الكفر والشرك والضلال؛ يفضي به إلى سجين وهي النار (مُؤْتَصَدُ)؛ أي: مؤصدة عليهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ﴾.

(ثَقَافَةٌ مِنْ سَمَاجٍ سَاءَ مَا أَلِفُوا): يُقال: (سمُج الأمر سماجةً)؛ أي: قَبُح. (ثَقَافَةٌ مِنْ سَمَاجٍ سَاءَ مَا أَلِفُوا)؛ يعني: هذه الثقافة المزعومة هي حقيقة من سماج أي: من قبيح القول وقبيح الفعل. (سَاءَ مَا أَلِفُوا).

(حَضَارَةٌ مِنْ مُرُوْجٍ هُمْ لَهَا عَمَدُوا): أي: أن هذه الحضارة مبنية على مثل هذا الضلال، وهذا الوهاء، وهذا الباطل الذي قصده هؤلاء.

(عَصْرِيَّةٌ): هذه كلها ألقاب تُلقب بها هذه الأمور؛ تُلَقَّب بثقافة وحضارة وعصرية..

قال: (عَصْرِيَّةٌ عَصَرَتْ خُبثًا فَحَاصِلُهَا سُمٌّ نَقِيْعٌ): الذي يتأمل في هذه العصرية التي هذه صفتها؛ هي في الحقيقة سمٌّ نقيع أي: مهلك.

(وَيَا أَغْمَارُ فازْدَرِدُوا): أي: ابتلعوا هذا السم الذي يكون به هلاككم؛ وهذا يقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ على وجه الزجر والتحذير.

(مَوْتٌ): يعني: حقيقة هذه الأمور موت.

(وَسَمُّوْهُ تَجْدِيْدَ الْحَيَاةِ): وفي الحقيقة موت القلوب، وموت الأديان، وموت الأخلاق، وموت الفضائل، لكن عادة أهل الباطل تسمية الباطل بأسماء جميلة تجذب إليه. (مَوْتٌ وَسَمُّوْهُ تَجْدِيْدَ الْحَيَاةِ).

(فَيَا لَيْتَ الدُّعَاةَ لَهَا فِي الرَّمْسِ قَدْ لُحِدُوا): يعني: ليت دعاة الباطل يُلحدون ويُدفنون، ويتخلص الناس من شرهم، ومن دعوتهم للضلال والباطل.

(دُعَاةُ سُوْءٍ إِلَى السَّوْأى تَشَابَهَتِ الْقُلُوْبُ ... مِنْهُمْ وفي الإِضْلاَلِ قَدْ جَهِدُوا): دعاة سوء إلى السوء. ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [سورة الروم، من الآية:١٠]؛ فهم (دُعَاةُ سُوْءٍ): يعني: دعاة ضلال وباطل. (إِلَى السَّوْأى): إلى العواقب السيئة والنهايات الوخيمة.

(تَشَابَهَتِ الْقُلُوْبُ مِنْهُمْ): أي: قلوب هؤلاء أهل الضلال والباطل.

(وفي الإِضْلاَلِ قَدْ جَهِدُوا): انتبه لها! يعني: هؤلاء يحملون رُكامًا من الباطل والضلال وهم في جِدٍّ واجتهاد في نشره.

شهر رمضان المبارك -خير شهور السنة- فهؤلاء يجهدون قبله بشهور طويلة لإعداد برامج تُبث على القنوات الفضائية تَشغل المسلمين عن القرآن وعن الذكر وعن حقيقة الصيام وعن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعن القيام، وصلاة التراويح تشغلهم ويختارون لها أفضل الأوقات، وكم من أُناسٍ تركوا التراويح، وتركوا بسبب مخططات مدروسة من شهورٍ طويلة. يخططون لشهر رمضان ويجهدون لوضع برامج تضل الناس فيه. وهم أهل ضلال وباطل.

أنت صاحب الحق وداعية الحق ماذا قدمت وماذا هيئت لرمضان؟ وما الأشياء التي تنوي وتعزم وترتب لنفسك أن تقوم بها نفعًا لنفسك ونفعًا لغيرك من المسلمين؟!

صاحب الباطل يجهد، ويصرفون أموال طائلة جدًا في سبيل الإضلال، هذا معنى قوله: **(وفي الإضْلاَلِ قَدْ جَهِدُوا)**.

(مَا بَيْنَ مُسْتَعْلِنٍ مِنْهُمْ وَمُسْتَتِرٍ ... وَمُسْتَبِدٍّ وَمَنْ بِالْغَيْرِ مُحْتَشِدُ): يعني: يصف هنا أحوال هؤلاء في الدعوة؛ منهم من دعوته سرية، ومنهم من دعوته علنية، ومنهم من هو غير ذلك.. يعني هم أنواع في طريقة تخطيطهم وترتيبهم وقيامهم بالدعوة إلى ما هم عليه من ضلالٍ وباطل.

(لَهُمْ إِلَى دَرَكَاتِ الشَّرِّ أَهْوِيَةٌ ... لَكِنْ إِلَى دَرَجَاتِ الخَيْرِ مَا صَعَدُوا): يعني لهم لدركات الشر أي: لسبل الشر ومجالاته ومنافذه أهوية يهوونها ويقبلون عليها، وينشطون في القيام بها والدعوة إليها.

(لَكِنْ إِلَى دَرَجَاتِ الخَيْرِ مَا صَعَدُوا): زاهدين في درجات الخير.

(وَفِي الضَّلاَلاَتِ والأَهْوَا لَهُمْ شُبَهٌ): يحملون في قلوبهم شبه، ويُثيرون هذه الشبه في أوساط الناس إضلالًا وإفسادًا.

(وَعَنْ سَبِيْلِ الْهُدَى والحَقِّ قَدْ بَلِدُوا): أي: متبلدين إذا كان الباب باب خيرٍ وبابَ حق وهدى.

(صُمٌّ وَلَوْ سَمِعُوْا): هنا يوضح قوله: **(وَعَنْ سَبِيْلِ الْهُدَى والحَقِّ قَدْ بَلِدُوا)**: متبلدين؛ يعني: عندما تأتي آيات القرآن، الأحاديث، المواعظ.. إلى آخره؛ يكونون في تمام التبلد، يصف هذا التبلد بقوله: **(صُمٌّ وَلَوْ سَمِعُوْا بُكْمٌ وَلَوْ نَطَقُوا عُمْيٌ وَلَوْ نَظَرُوا بُهْتٌ بِمَا شَهِدُوا)**: هذه حال هؤلاء مع الحق والهدى؛ **(صُمٌّ وَلَوْ سَمِعُوْا بُكْمٌ وَلَوْ نَطَقُوا)**؛ الأبكم هو الذي لا يتكلم، **(عُمْيٌ وَلَوْ نَظَرُوا)**؛ ولو كانوا ينظرون. **(بُهْتٌ بِمَا شَهِدُوا)**؛ والبهتُ الكذب.

(عَمُوا عَنْ الحقَّ صُمُّوا عَنْ تدَبُّرِهِ ... عَنْ قَوْلِهِ خَرِسُوْا فِي غَيِّهِم سَمَدُوا): أي: سامدون في غَيِّهم متمادون فيه.

(كَأَنَّهُمْ إِذْ تَرَى خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ): ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [سورة المنافقون، من الآية:٤].

(كَأَنَّهُمْ إِذْ تَرَى خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ ... وَتَحْسَبُ الْقَوْمَ أَيقَاظًا وَقَدْ رَقَدُوا): تحسبهم أيقاظ لكنهم في رقدة الضلال والباطل والزيغ والانحراف عن دين الله.

(بَاعُوا بِهَا الدِّينَ): (بِهَا)؛ أي: الحضارة والرقي والثقافة المزعومة.

(بَاعُوا بِهَا الدِّيْنَ طَوْعًا عَنْ تَرَاضٍ ... وَمَا بَالَوا بِذَا حَيْثُ عِنْدا اللهِ قَدْ كَسَدُوا): يعني: هذا البيع الذي باعوا به الدين، وأخذوا عوضًا عنه هذه الثقافة والحضارة المزعومة؛ لم يبال هؤلاء أن هذا يسبب لهم كسادًا عند الله؛ لأنهم يكونون يوم القيامة من الخاسرين.

ثم أخذ يتألم ويتأسف على حال الدين والغربة:

(يَا غُرْبَةَ الدِّيْنِ والمُسْتَمْسِكِيْنَ بِهِ ... كَقَابِضِ الْجَمْرِ صَبْرًا وَهْوَ يَتَّقِدُ): يعني: مع كثرة هذه الأمور هذا يقوله في زمانه -رحمة الله عليه-. (يَا غُرْبَةَ الدِّيْنِ والمُسْتَمْسِكِيْنَ بِهِ... كَقَابِضِ الْجَمْرِ صَبْرًا وَهْوَ يَتَّقِدُ)؛ يعني: المستمسك بدينه مثل الذي يمسك بيده جمرة متَّقدة؛ تُحرق يده.

(كَقَابِضِ الْجَمْرِ صَبْرًا وَهْوَ يَتَّقِدُ)؛ هذا وصفٌ لحال الغربة جاء في الحديث عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وهذا فيه التنبيه إلى أن الصبر يحتاج إلى مجاهدة طويلة؛ لأن الفتن متلاحقة، والصوارف والصواد كثيرة جدًا، وليس العجب ممن هلك كيف هلك، ولكن العجب ممن نجى كيف نجى؟ كتب الله لنا جميعًا النجاة.

(المُقْبِلِيْنَ عَلَيْهِ): أي: على الدين. (عِنْدَ غُرْبَتِهِ ... وَالمُصْلِحِيْنَ إِذا مَا غَيْرُهُمْ فَسَدُوا): هذا وصف الغرباء الذي جاء في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الذين يَصلحون إذا فسد الناس، والذين يُصلحون ما أفسد الناس**».

(المُقْبِلِيْنَ عَلَيْهِ عِنْدَ غُرْبَتِهِ): يعني يصلحون إذا فسد الناس.

(وَالمُصْلِحِيْنَ إِذا مَا غَيْرُهُمْ فَسَدُوا): أي: المصلحين لما أفسد الناس؛ هذا حال أهل الغربة صلاحٌ وإصلاحًا.

(إِنْ أَعْرَضَ النَّاسُ عَنْ تِبْيَانِهِ نَطَقُوا بِهِ): إن أعرض الناس عن تبيان الدين نطقوا بتبيانه؛ لا تأخذهم في الله لومة لائم.

(وَإِنْ أَحْجَمُوا عَنْ نَصْرِهِ نَهَدُوا): أي: نشطوا وجدُّوا واجتهدوا في نصره. إن أحجم الناس عن نصره.

(**هَذَا وَقَدْ آنَ نَظْمُ الْعِقْدِ مُعْتَصِمًا ... بِاللهِ حَسْبِي عَلَيْهِ جَلَّ أَعْتَمِدُ**). (**هَذَا وَقَدْ آنَ نَظْمُ الْعِقْدِ**)؛ على اعتبار أن هذه جوهرة؛ فهي عِقد ينتظم أمور الدين ومهماته.

ويمكن أن تُضبط: هذا أوان نظم العَقد: أي: المعتقد.

(**مُعْتَصِمًا بِاللهِ**): أي: ملتجئًا إليه طالبًا مده وعونه.

(**حَسْبِي عَلَيْهِ**): أي: هو حسبي.

(**جَلَّ أَعْتَمِدُ**): أي: اعتمادي على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهكذا ينبغي أن يكون المسلم في علمه وعمله، معتمدًا على الله متوكلًا عليه، طالبًا مَنَّه مدَّه وتوفيقه؛ كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نبيه شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود، من الآية:٨٨].

والله أعلم.. وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله..